التطورات السياسية في انكلترا في عهد ماري تيودور (١٥٥٣-١٥٥٨)

الاستاذ الدكتور
رزاق كردي حسين
جامعة الكوفة – كلية التراث والآثار

م. باحث
رواء عيدان حسن

التطورات السياسية في انكلترا في عهد ماري تيودور (١٥٥٣-١٥٥٨)

م. باحث
رواء عيدان حسن

الاستاذ الدكتور
رزاق كردي حسين
جامعة الكوفة – كلية التراث والآثار

تمهيد

ارتبط اعتلاء ماري تيودور عرش البلاد بوجوب إدخال إصلاحات دينية تشكل تهديدا على التغيرات الدينية المبتكرة بعهد الملك ادوارد السادس، استخدمت اغلب الدول الأوربية الإصلاح الكنسي الكاثوليكي لكن بعدة أشكال ، فبرز فرعين لإعادة إحياء الكاثوليكية ضد البروتستانتية، ويتم تحديد ذلك بمصطلحين أولهما (الإصلاح الكاثوليكي) والثاني أطلق عليه (الإصلاح المضاد)، ويختلف المصطلحين من حيث المعنى المراد منهما، فالأول يسعى لإعادة إصلاح النسيج الكاثوليكي بالكنيسة، خاصة في المناطق التي ضعف فيها التأثير الكاثوليكي بسبب التواجد البروتستانتي. أما المصطلح الثاني فيمثل القوة السياسية الهجومية المتبعة من قبل الكنيسة الكاثوليكية ضد البروتستانتية لإبادتها بالقوة، وقد اتبعت الملكة ماري تيودور في أول عهدها طريق الإصلاح الكاثوليكي، إلا إنها وتحت عدة تأثيرات اتبعت سياسة قائمة على البطش والشدة منذ عام ١٥٥٤ والى أواخر عهدها.[١] عملت الملكة ماري على تكوين توازن في المؤسسة السياسية، يضمن بقاء سلطتها قوية على مجالس البرلمان، من خلال تأمين موازنة بين الكاثوليك المخلصين أمثال بنجفيلد، روتشستر، والدجراف، وغيرها، وبين من ساهم باضطهاد الكاثوليك خلال العهد السابق أمثال باجيت، وينشستر، بمبروك، وارندول، يضاف لذلك المنافسة القائمة بين أعضاء مجالس البرلمان، واختلاف الآراء حول القضايا المطروحة ساعد الملكة على إحكام سيادتها البرلمانية وتحقيق رغباتها، نذكر منها على سبيل المثال المنافسة بين مستشار الملكة ستيفن غاردينر وبين باجيت صاحب الختم الملكي،

والانقسامات القائمة بينهما نتيجة اختلاف الرأي خاصة فيما يتعلق بمسألة المصاهرة الاسبانية المؤيدة من قبل باجيت ورأي غاردينر المناهض لأي وجود أجنبي مهما كانت تسميته، ومساندته للمرشح الانجليزي. كل ذلك ساعد الملكة ماري على زيادة سيطرتها الفعلية على المجالس وممارسة نفوذ اكبر داخله، إلا إن هذه المجالس أظهرت وحده غير متوقعة خاصة في المواقف المهمة بمستقبل البلاد ، أو المهددة للتاج الملكي المتمثلة بتمرد توماس وايات١٥٥٤ أو التهديد الخارجي المنطوي تحت التعاون الانجلو اسباني ضد فرنسا ١٥٥٧ .[٢]

أظهرت العلاقة بين الملكة ماري والبرلمان المنعقد خلال مدة حكمها محاولتهم إيجاد حلول وسط فيما يخص قضايا الدولة، وعلى الرغم من تحفظات المجلس الأولية إلا انه وافق على إلغاء التشريعات الدينية الصادرة خلال عهد الملك ادوارد السادس ، وعلى تصديق معاهدة الزواج والتحالف مع الملك فيليب، وبذا فان الملكة ماري حققت مبتغاها بثلاث أهداف سعت لتحقيقها منذ توليها العرش.

تدرجت الملكة ماري سعياً لإعادة الكاثوليكية أربع مراحل، كان أولها إبعاد معظم رجال الدين البروتستانت عن المراكز القيادية والمهمة بالبلاد بضمنهم كرانمر (Thomas Cranmer)[٣]، هوبير، لاتمير، وريدلي، وطردها البروتستانت الأجانب اللاجئين من باقي البلاد الأوربية كفرنسا واسبانيا، وقامت بسلسلة من الإجراءات البرلمانية مابين عامي ١٥٥٣-١٥٥٤ لإزالة التشريعات الادواردية، ابتدأت المرحلة الثالثة بوصول الكاردينال بول لانجلترا عام ١٥٥٤، والذي اشرف على إعادة جميع التشريعات القديمة العائدة للفترة السابقة لعام ١٥٣٠، أخيرا اختتمت ماري عهدها باعتمادها أسلوب إحياء قوانين البدعة التي تحكم على كل فرد يشك في ولائه للكاثوليكية بالحرق باعتباره زنديق ومرتد، والتي بموجبها حرق عدد كبير جدا قارب ٣٠٠ شخص من البروتستانت، وشددت الرقابة الصارمة على أبناء الشعب، يضاف لذلك رغبة ماري بإنجاب وريث من خلال زواجها بالملك الاسباني فيليب الثاني، تدفعها مشاعر الدم الاسباني ورغبتها بملك كاثوليكي يساعدها على إعادة وتثبيت المذهب الكاثوليكي للبلاد . [٤]

أولاً/ تطور الأحداث الداخلية في انجلترا (١٥٥٣ – ١٥٥٤)

١_ اعتلاء الأميرة ماري تيودور العرش ١٥٥٣

تلقى الشعب خبر إعلان الأميرة ماري تيودور كملكة للبلاد بفرح عارم، وظلت النواقيس تقرع وأضيئت الأنوار في العاصمة، فظلت لندن تحتفل بوصول الملكة ماري تيودور طوال تلك الليلة، فقد كانت لندن والمقاطعات الشرقية تعد من ابرز مراكز تجمع البروتستانت، لكن يبدو إن

إيمانهم بشرعية حقوق ملكتهم الجديدة كانت المحرك الأساسي لهم بعيداً عن تفكيرهم الديني والسياسي، إذ امنوا بأن مسالة التعاقب الوراثي أساساً يجب الالتزام به، ويبدو من ذلك إن انكلترا كانت تتطلع بشغف لتولي الأميرة ماري الحكم، تلك الأميرة المضطهدة خلال العهدين السابقين واخذوا ينظرون بأمل لحكم ماري بعد ما عانوه من ظلم وفقر إبان عهد ادوارد السادس وسيطرة دوق نورثمبرلاند.[٥]

واقتربت الملكة ماري تيودور في الثالث من آب ١٥٥٣ من أطراف العاصمة، حيث استقبلتها الأميرة إليزابيث شقيقتها من أبيها الملك هنري الثامن، وقدمت لها تهانيها باعتلائها عرش البلاد، ورافق الملكة ماري شقيقتها إليزابيث برفقة آن كليفز أرملة الملك الراحل هنري الثامن في موكبها الكبير المكون من أكثر من ١٠٠ من جنود ولوردات وسيدات الطبقة الراقية نحو قصرها الملكي، وبذلك فقد انتصرت ماري وتولت عرشها بشكل سريع بدون إراقةِ دماء عكس ما كان متوقع.[٦]

وتوج البرلمان الانكليزي ماري تيودور كملكة لانكلترا يوم الثامن عشر من آب ١٥٥٣، حيث تم تتويجها في كنيسة ويستمنيستر، وبذلك أصبحت أول سيدة تحكم البلاد الانكليزية، وألقت الملكة ماري تيودور خطبة بينت فيها أحقيتها الشرعية والقانونية في تولي العرش والتي حاول نورثمبرلاند سلبها إياه من خلال تمرده الذي قاده للقضاء عليها، كما أعلنت بخطبتها المذكورة إنها لن تكره الضمائر أو تلزمها بشيء تجاه معتقدها الديني، وطلبت أن لا يتم مناقشة الأمور الدينية بين العامة من أبناء الشعب، واقتصرت أمر العظات الدينية ودراستها في الجامعات حصرا تجنباً لحدوث منازعات محتملة بين الأوساط الشعبية، وبهذا الإعلان أظهرت الملكة ماري سياستها التسامحية التي افتتحت بها عهدها.[٧]

كما أظهرت الملكة حسن نيتها وتسامحها في أول عهدها تجاه من حاول سلبها سلطتها، ورأت أن تطلق سراح كل من اعتقل بسبب تآمره عليها، لكنها أذعنت لرأي مستشاريها، فقد أبدت الملكة رغبتها بالإفراج حتى عن نورثمبرلاند ولكن السفير الاسباني رينارد أثناها عن موقفها بناءا لنصائح الامبراطور شارل الخامس[٨] (Charles V).[٩]

وأصدرت المحكمة خلال أيام معدودة من تولي الملكة ماري تيودور الحكم أحكاماً بالإعدام تجاه المتآمرين على حكم الملكة ، والذين حاولوا وضع جين جراي على عرش البلاد، وكان أولهم نورثمبرلاند (جون دادلي) وستة من رفاقه منهم السير توماس بالمر والسير جون جيتس (Sir John Gates) وهؤلاء الثلاثة أعلنوا تخليهم عن العقيدة البروتستانتية إلا انه تم إعدامهم في الثاني والعشرين من آب ١٥٥٣، كما تم الحكم

بالإعدام على كل من السير اندرو دادلي (Andrew Dudley) وهو شقيق نورثمبرلاند و هنري جيتس (Sir Henry Gates). أما جين جراي وزوجها جيلفورد دادلي (Guildford Dudley) فقد عدتهم المحكمة مذنبين، وتم سجنهم في برج لندن و حكم عليهم بالإعدام إلا إن ماري ألغت الحكم، فيما يخص اخوة جيلفورد الثلاثة وابناء جون دادلي فقد حكم عليهم بالسجن وتم حجزهم ببرج لندن، أما والد جين جراي (هنري جراي) فقد أطلق سراحه وفرضت عليه المحكمة دفع غرامة مالية.(١٠)

خشيت الملكة ماري تيودور من عدم قدرتها على إعادة الكاثوليكية إلى ما كانت عليه في انكلترا قبل إصلاحات أبيها هنري الثامن وأخيها ادوارد السادس، خاصة إن البروتستانتية قد انتشرت في البلاد عند اغلب المستفيدين من انهيار الكاثوليكية. لذا كان من الصعب عليها مواجهة كل هؤلاء في نفس الوقت اذ كانت بحاجة إلى ترسيخ قواعد حكمها. فضلاً عن إن ماري كانت كأبيها تؤمن بوجوب إصلاح الكنيسة والقضاء على الفساد الذي تقبع فيه غير إنها لم ترض عن ترأس الملك الانكليزي للسلطة الدينية بصفته الرئيس الأعلى للكنيسة دون العودة للكنيسة الأم في روما، وهذه النزعة الإصلاحية لدى ماري ترجع لمعلميها الذين امنوا بإصلاح الكاثوليكية لا إزالتها.(١١)

٢_ مرحلة التسامح الديني(١٥٥٣- ١٥٥٤)

لقد حاولت الملكة ماري تيودور إعادة كاثوليكية إلى إنكلترا والعائلة الملكية أولا، وطالبت بإعادة كلّ الرموز التي كانت قد أزيلت تحت حكم أخّيها إلى أماكنها، كما رغبت بدفن أخيها الملك ادوارد السادس بطقوس كاثوليكية لكنها تخوفت من مواجهة مشاكل من مؤيدي الملك الراحل لذا أتمت دفنه بقداس بروتستانتي في دير ويست منستر، ولترضي ضميرها تجاه عقيدتها مارست القداس الكاثوليكي وإقامة الصلاة على روح أخيها في مصلى بيتر ببرج لندن (١٢) .

استمرت الملكة ماري بإتباع الحذر والحيطة في المرحلة المبكرة من توليها السلطة، فاعتمدت أسلوب التسامح الديني نحو البروتستانت، فقد كانت على علم بالتركيبة العقائدية لانكلترا ولم تنحرف عنها، ومع ذلك عملت الملكة ماري على دعم بعض المسائل الكاثوليكية أبرزها مسالة زواج الرهبان المحرمة كاثوليكياً، فأعفت رجال الدين ممن الغوا زواجهم وتخلوا عن زوجاتهم وعائلاتهم، أما من امتنع فقد ابقت على حياته لكنها عملت على تجريده من منصبه الديني(١٣).

دعت الملكة ماري تيودور إلى اجتماع برلمانها الأول في تشرين الأول ١٥٥٣، وقد كان طموح ماري لإرجاع الكاثوليكية كبيراً، لذا فقد ابتدأت إجراءاتها لتحقيق هدفها المنشود من خلال إلغاء كافة القوانين والتغييرات التي أجريت على

الكنيسة في عهد الملك ادوارد السادس، وقامت بالإفراج عن كافة رجال الدين والزعماء الكاثوليك منهم غارديز الذي أصبح مستشارا للمملكة وبونر وادوارد كورتناي ابن ماركيز اكستر الذي سجن بعد إعدام أبيه عام ١٥٣٨، كما استبدلت كافة الأساقفة البروتستانتيين بأساقفة كاثوليك [١٤]. أعادت الملكة ماري تيودور البابا رئيسا للكنيسة الكاثوليكية في انكلترا، كما أنها أعطت فرصه لكل البروتستانتيين بالعودة للعقيدة القديمة مع الحفاظ على مراكزهم الوظيفية، وخلال هذه المدة سمحت للمتمسكين بعقيدتهم الجديدة بمغادرة البلاد دون أن يصيبهم مكروه فغادر ما يقرب من ٤٠٠ من البروتستانت وزعمائهم إلى أوربا، وقد كانت مغادرة هؤلاء الوعاظ البروتستانتيين سهله، غير إن بعض الزعماء الكبار كانوا قد رفضوا الهروب من بلادهم على الرغم من إعطائهم الفرصة ومنهم لاتمير الذي اعتقل في آب عام ١٥٥٣، بتهمة نشره العقيدة البروتستانتية و إتباعه أسلوباً تحريضياً ضد الملكة وعرشها، لذا فقد تم سجنه في برج لندن.[١٥] كما تم اعتقال كرانمر واقتيد إلى برج لندن حيث استطاعت الحكومة الانكليزية سحب اعتراف من كرانمر يعلن فيها بطلان كافة الإجراءات البروتستانتية ومن ضمنها كتابي الصلوات الادواردي، وإعادة القداس كشعيرة أساسية من شعائر الكاثوليكية، وإعلان تخليه وارتداده عن البروتستانتية ورجوعه إلى الكاثوليكية وتم بعدها إطلاق سراحه، إلا إن الملكة ماري تيودور لم تنس اشتراك كرانمر وترأسه لجلسة البرلمان التي تم فيها إعلان بطلان زواج أمها الملكة كاترين أرغون من والدها الملك هنري الثامن وبهذا فقد عدته جزءا ممن سبب لها التعاسة ولوالدتها لحين وفاتها، لذا فقد أعيد اعتقال كرانمر مرة أخرى بتهمة انه كان يدعم مخطط نورثمبرلاند في الاستيلاء على السلطة، وقد أعطي فرصه للهرب إلا انه رفض ذلك، ليحفظ ماء وجهه وليموت بشرف كأقرانه من زعماء البروتستانتية، إذ أيقن إن الملكة ماري تيودور لن تسمح له بالعيش بعد أن كان هو من أعلن طلاق أمها وكان سببا في إعلانها ابنه غير شرعية للملك.[١٦] وأعيد عقد اجتماع ثاني للبرلمان للفترة مابين الرابع والعشرين من تشرين الأول الى السادس من كانون الأول عام لتنظيم شؤون البلاد ١٥٥٣، فقد حاولت الملكة ماري أن تبدأ عهدها بصفحة بيضاء بعيدا عن أخطاء أسلافها المتجاوزين على العقيدة الكاثوليكية، كما إنها وبعد حصولها على حقها القانوني بالسلطة تمكنت من إثبات شرعية ادعائها من خلال مطالبتها المجلس بإصدار تشريع يعيد تأكيد صحة الزواج الشرعي بين الملك هنري الثامن والملكة كاثرين أرغون، وبهذا ضمنت أحقيتها الشرعية بالملوكية ليس فقط

بالمرسوم البابوي بل وحتى بالقانون الانكليزي. كما ضمنت بذلك احترام ذكرى والدتها كاترين وأعادت لها حقها المسلوب . [١٧]

واجهت ماري مشكلة وحيده مع البرلمان تتعلق بمسألة بإعادة الأملاك والأراضي للكنيسة والتي استولت عليها العوائل الانكليزية والذي قدر عدد المنتفعين بها حوالي ٤٠،٠٠٠ عائلة تمسكت بما حصلت عليه بعد حل الأديرة .[١٨]

وكان من ابرز ما قامت به الملكة ماري محاولتها مواجهة البروتستانتية بالاعتماد على رجال الدين المثقفين من الكاثوليك، فقد لاحظت مدى الضعف التعليمي للكهنة الكاثوليك سواء في قدرتهم العلمية وعدم إمكانياتهم على إدارة أبرشياتهم وقله خبرتهم في التبشير والوعظ الديني مقارنة برجال الدين البروتستانت الذين فاقوهم في ذلك، لذا ارتأت الاعتماد عل رجال الدين الأكثر ثقافة لمواجهة الضعف الذي تعاني منه الكنيسة الكاثوليكية في انكلترا وليلهموا الناس من خلال الخطب الجيدة التي تعيد لهم ثقتهم وإيمانهم بالكاثوليكية .[١٩] وقد ساعدت ماري في القضاء على الجهل الديني لدى رجال الدين من خلال التبرع بالأموال للجامعات الانكليزية لتوفير النقص الحاصل فيها من اجل زيادة الوعي الديني للطلبة، فقد تبرعت بأموال كبيرة لجامعتي كامبردج وأكسفورد التي استقبلت ذلك بالدعاء والشكر لنعمة الملكة عليهم.[٢٠]

وتعدت رغبة ماري إجراء الإصلاحات الكنسية وتعليم الطلبة الخوف من الله وإرشادهم نحو أصول العبادة الصحيحة فقط ، بل أرادت أن تجعل منهم تابعين في ولائهم للسلطة العليا في الدولة والمتمثلة بالانصياع لأوامر الملكة نفسها. كما ارتأت الملكة إعطاء البابا حقه الديني باعتباره يمثل اعلى منصب في الكنيسة الكاثوليكية، لذا فقد عملت الملكة ماري تيودور خلال مراسم افتتاح الجلسة البرلمانية للمجلس البرلماني الانكليزي بتلاوة الصلوات من قبل البابا باعتبارها جزءاً من المراسم الافتتاحية . وبهذا العمل كانت الملكة ماري ترى في مباركة البابا من خلال صلواته جزءا من إيمانها بالكاثوليكية وبمكانة البابا وحقه في ترأس كافة الكنائس الانكليزية التابعة بولائها للكنيسة الأم في روما . [٢١] لقد كان مؤملاً للملكة ماري تيودور ان يكون لها القدرة على إقناع شعبها بالعودة للكاثوليكية بالمقارنة مع محاولاتها لإقناع أختها إليزابيث، وقد تخوف السفير الاسباني سايمون رينارد من إمكانية تحول إيمان أختها بالبروتستانتية إلى خطر حقيقي يهدد عرش الملكة ماري وحاول رينارد أن يبين للملكة إن لإليزابيث نوايا سياسية لخيانتها من خلال عقيدتها البروتستانتية المتمسكة بها، خاصة إن الملكة قد قربت إليزابيث إليها كثيرا وأسكنتها القصر لتكون بجانبها لتعليمها ودفعها نحو العقيدة الصحيحة،

فكانت تعاملها معاملة رقيقة بمحاولة لكسبها نحو الكاثوليكية ضد البروتستانتية إيمانا منها إن قوة المذهب الكاثوليكي ستجبر إليزابيث نحو رؤية الحق الذي تنادي به الكاثوليكية والابتعاد تدريجيا عن البروتستانتية إلا إن هذا الجهد لم يؤتَ ثماره.[٢٢] دعا الإمبراطور شارل الخامس الملكة ماري تيودور للتريث وعدم التعجل باستخدام الإجراءات الكاثوليكية دفعة واحدة بدافع الحماسة، لتترك أثراً أولياً حسناً في نفوس الناس يخولها العمل بكل ما ترغب فيه لاحقاً بالتدريج، ومن دون أن تلاقي معارضة شعبية ، إلا إن ماري لم تستمع لنصحه، وبدأت تغييراتها الدينية وقراراتها تثير مخاوف البروتستانت والتي وصلت ذروتها بعد إعلان ماري عن نيتها بالزواج من ولي العهد الاسباني الأمير فيليب، هذا الزواج او الاتحاد الكاثوليكي بين البلدين انكلترا واسبانيا والذي من شأنه ان يقضي على كل اثر بروتستانتي في البلاد .[٢٣]

ثانياً/ التطورات السياسية في انكلترا (١٥٥٤ – ١٥٥٨)

١- تمرد توماس وايات ١٥٥٤

أبدت الملكة ماري بعد تسلمها السلطة رغبتها بالزواج لتقوية نفوذها السياسي والديني ، لذا حاول المجلس اختيار زوج مناسب يساعدها في تولي زمام السلطة ، فاقترح المجلس اثنان من المرشحين أولهم ادوارد كورتناي ابن ماركيز اكستر والذي ينحدر من عائلة يورك ، إلا إن الملكة لم تجد ميلاً له لأسباب منها شخصية ادوارد المائلة للهو والترف أولا وكذلك عدم كفاءته في تحمل أعباء الدولة ، هذا بالإضافة إلى ميول كورتناي نحو الأميرة إليزابيث شقيقة الملكة ماري قد جعلت من الملكة تلغي فكرة الزواج منه .[٢٤] ورشح الكاردينال بول ريجنالد وكان شخصية كفوءة وملتزمة دينياً وسياسيا ، إلا إن عمره الذي ناهز الثالثة والخمسين عاما جعله يعتذر عن ترشيحه كزوج مقترح للملكة ، وفضل البقاء في منصبه الديني كمندوب عن البابا في روما بانكلترا ، كما إن ماري وجهت أنظارها نحو اسبانيا الكاثوليكية خاصة بعد عرض الزواج الذي قدمه الإمبراطور شارل الخامس لها.[٢٥]

وحاول البرلمان إقناع ماري بمخاوفه تجاه التداعيات الأكيدة لهذا الزواج، فبعضهم تخوف من تأثير الأمير فيليب على الملكة بحيث تكون كل مقدرات البلاد تحت سيطرته ، وفي حال إنجاب وريث ينتج من هذا الزواج سيكون تابع للعرش الاسباني الكاثوليكي . كما إن الزواج سينتج اتحادا مع اكبر قوة كاثوليكية بأوربا وهذا ما أثار مخاوف البروتستانت .[٢٦]

إن اختيار الملكة للزواج من أمير أجنبي لم يثر مخاوف البرلمان فقط بل ان الشعب خشيَّ من سيطرة ملك أجنبي على الأملاك الانكليزية، وإمكانية تحول انكلترا لمقاطعة تابعة للعاصمة

مدريد، لكن الملكة ماري رفضت الأخذ بوجهات نظرهم وصرحت للبرلمان بان زواجها مسألة خاصة بها وحدها، وفي رسالة بعثها السفير الاسباني رينارد للإمبراطور شارل الخامس بان بعض المواطنين الانكليز اعتقدوا بوجوب القيام بثورة ضد اختيار ماري للزواج من فيليب.[٢٧]

أثارت مسالة الزواج جميع الأطراف الانكليزية سواء من عامة الشعب او من النبلاء او مجلس العموم (باستثناء رجال الدين الكاثوليك)، واعتبرت نقطة انطلاق لتمرد كبير امتد على طول البلاد الانكليزية ولعب في تأجيجه وزيادة حدته واتساعه في الخفاء الأيدي الفرنسية المتمثلة بالملك هنري الثاني الذي وعد بتأييد ومساعدة المتمردين عن طريق سفيره نويلز (Noailles) المتواجد في انكلترا، فقد ألب المشاعر الوطنية الانكليزية وأثار حماستها من خلال مساندته لبعض النبلاء الذين خططوا لقيادة تمرد بكافة أنحاء البلاد.[٢٨] وضع المتمردون خطة مسبقة لتنفيذ التمرد في مناطق متفرقة من انكلترا بالوقت ذاته، وكان يوم ١٨ آذار ١٥٥٤ اليوم المتفق عليه بين الزعماء أي في الفترة المتوقع فيها وصول الأمير فيليب إلى انكلترا ، وقد رغب المتمردون في التحضير له بشكل منظم، فحاولوا الحصول على تأييد السير ادوارد كورتناي من خلال تقديم الوعود له بتزويجه من إليزابيث التي ستنتصب كملكة بدلا من أختها الملكة ماري، إلا إن خططهم باءت بالفشل بعد اعتراف ادوارد كورتناي لغاردينر وتحت تأثير التعذيب بمخطط التمرد المرتقب وأفشى بأسماء المتآمرين على الملكة.[٢٩]

واعتبر التمرد نتيجة حتمية للأوضاع التي سادت البلاد ، ولم يكن زواج الملكة من ولي العهد الاسباني هو السبب الوحيد لذلك على الرغم من مناداة المتمردين بإلغائه، بل كان حجة من قبل منفذيه لتأليب الرأي العام وتحريضهم ضد السلطة الحاكمة، فرأى البعض في هذا الزواج احتلالا اسبانيا غير مباشر لانكلترا، في حين كان الدافع الديني هو المحرك الأساس للبروتستانت الذين تخوفوا من إقامة محاكم تفتيش انكليزية مطابقة لمحاكم التفتيش الاسبانية لإجبارهم على التخلي عن مذهبهم أو معاقبتهم، في الوقت ذاته اعتبر التمرد وسيلة النبلاء للمحافظة على أملاكهم في حال تمت إعادة السيطرة الكنسية الكاثوليكية على مقدرات البلاد ومطالبتها بإرجاع الأملاك المسلوبة بأسعار بخسة من قبل النبلاء.[٣٠] وقد وقعت معاهدة الزواج في الثاني عشر من كانون الثاني ١٥٥٤، وخلال أسبوع واحد أعلن عن قيام التمرد بعد انكشاف مخططهم، على الرغم من عدم اكتمال التجهيزات للقيام به كما كان متوقع منهم، إلا إنهم ارتأوا الموت في الحرب على أمل النصر بدلا من الإعدام المؤكد او البقاء داخل

السجون الملكية.[٣١] وقاد التمرد أربعة من ابرز زعماء البروتستانت كان على رأسهم توماس وايات الذي قاد تمردا كبيرا في كنت التي كانت مركز انطلاقهم نحو لندن واستطاع حشد قوة قوامها ١٥،٠٠٠ رجل، قاد السير جيمس كروفت جماعة من الويلزيين في مقاطعته ويلز، وثار السير بيتر كارو(Better Karoo) في مقاطعة ديفونشاير، في حين قاد الدوق اف سفولك (هنري جراي) والد جين جراي المعفى عنه سابقاً تمردا في وارويكشاير وبمساندة من اثنين من إخوانه.[٣٢]

وشق المتمردين طريقهم نحو لندن بسرعة وقوة كبيرتين صعب على الملكة صدهم على الرغم من مساندة اللندنيين لها ، فتوجه المتمردون بقيادة وايات نحو قصر الملكة في هريتهول وطلب الحراس من الملكة الهرب إلا إنها رفضت ذلك، واستطاع المجلس البرلماني حشد ما يقارب من ٢٥،٠٠٠ جندي مسلح لمساندة الملكة، فتمكنوا من القبض على سوفولك الذي ترك يوركشاير بعد أن ثار السكان عليه وتم دحر قواته من قبل ايرل هانتينجدون قرب كوفنتري، واعتقل معه إخوته اللّورد توماس جراي (Gray Lord Thomas) واللّورد ليونارد جراي (Lord Leonard Gray) الذيَن ساندوه في تمرده.[٣٣]

وسعى بيتر كارو لإثارة سكان منطقة آكستر الا انه لم يفلح بذلك فهرب عن طريق البحر بقارب زود به من قبل السيد والتر ريلاي (Mr. Walter Raleigh)، في حين اعتقل السير جيمس كروفت (James Croft) بعد أن تمت ملاحقته بشكل دؤوب إلى الحدود الويلزية بعد محاولته الهرب.[٣٤] واستطاع توماس وايات الحفاظ على رباطة جأشه خاصة بعد القضاء على مناصريه، وحاول المتمردون دخول المدينة من خلال عبورهم نهر التايمز عن طريق جسر لندن إلا إنهم قوبلوا بمواجهة من قبل قوات نورفولك التي أرسلت لقمعهم في السابع والعشرين من كانون الثاني ١٥٥٤، وحدثت عدة مناوشات استطاع جيش المتمردين الوصول إلى سترود وهي احد ضواحي مقاطعة روشيستر ، وكانوا على وشك عبور الجسر واختراق شوارع لندن لإنهاء حكم الملكة ماري التي لم تجد مساندة من مجلسها البرلماني ، فقررت الملكة ماري الخروج إلى العامة ، وإلقاء خطبة على الشعب لتهدئتهم ، إذ لم تتوقع الملكة ان الشعب الانكليزي الذي استقبلها بفرح عارم سيخرج عليها متمردا، فتوجهت الملكة في الثالث من شباط ١٥٥٤ نحو جلدهول (Geldhol) وعقدت اجتماعا مع ممثلي الشعب الانكليزي، واعربت عن استعدادها للاذعان لإرادة مجلسها البرلماني فيما يخص مسالة زواجها حتى انها ستمسك عن الزواج ان كانت هذه رغبة شعبها،[٣٥] فقالت :

((اني لا استطيع ان اقول كيف تحب الام طفلها بفطرتها لاني لم اكن يوما اما ، ولكن لاشك انه اذا كانت الملكة يمكن ان تحب رعاياها حبا طبيعيا وحارا كما تحب الام طفلها ، فاني اؤكد اني باعتباري سيدتكم ومولاتكم ، احبكم حبا حارا رقيقا واعطف عليكم))[٣٦]

نتيجة للخطاب الملكي أنهى عدد كبير من المتمردين عصيانهم والقوا سلاحهم بعد انتهاء المسبب الأساسي الذي تمردوا على ملكتهم من اجله، وهذا مما جعل توماس وايات يخسر ما يقارب اكثر من نصف مناصريه، فلم يبق معه سوى حوالي ٧،٠٠٠ رجل وكانوا قد في تناقص مستمر، حاولوا الاستمرار بتمردهم لدخول العاصمة إلا إنهم اضطروا للتسليم خاصة بعد عدم وصول المساندة الفرنسية التي وعدهم بها الملك هنري الثاني ، فتم القبض على زعيمهم توماس وايات مع مئة من مناصريه وحكم عليهم بالإعدام .[٣٧] وأكد بعض المؤرخين تواطؤ إليزابيث في إحداث التمرد لاسيما إنها المرشحة الأولى إن لم تكن الوحيدة لتسلم العرش بعد أختها الملكة ماري، كما إن توماس وايات كان قد اعترف باطلاع الأميرة إليزابيث بأمر التمرد على الرغم من عدم مشاركتها فيه بأي شكل من الأشكال إلا انه عاد وأنكر ذلك بعد أن حوكم بالإعدام ، وقد حاول السفير الاسباني رينارد إثارة مخاوف الملكة من أختها وحثها على إعدام الأميرة إليزابيث للتخلص من إمكانية قيام تمردات لاحقة، إلا إن اقتراحات السفير رينارد لاقت معارضة كبيرة من غاردينر وبونر.[٣٨]

كما إن الملكة ماري لن تقدم على عمل كهذا بأختها إن لم يكن بدافع الأخوة والحب فبدافع الخوف والقلق من قيام تمرد من مناصري الأميرة إليزابيث. فجلبت الأميرة ماري أختها إليزابيث من قصرها في هاتفيلد وتم وضعها تحت الإقامة الجبرية في قصر سانت جيمس لأكثر من شهر بعدها تم زجها ببرج لندن لشهرين لمنع قيام أي تمرد مشابه بالمستقبل يستهدف وضعها على العرش بدلا من الملكة ماري ، وقد حاول الإمبراطور شارل الخامس حث الملكة على تنفيذ حكم الإعدام بكل من ادوارد كورتناي والأميرة إليزابيث إلا إن الملكة ماري زعمت انه لا يوجد دليل كافي ضد إليزابيث لتتم محاكمتها . [٣٩]

من خلال ما تقدم نرى إن الأميرة إليزابيث كانت احد المناصرين أو المطلعين على أمر المتمرد ولم تحاول منعه لتحقيق أهداف سياسية ودينية خاصة إنها المرشح الأول للعرش بعد الملكة ماري ولها مؤيدين كثر من البروتستانت .

٢- اضطهاد ماريان ١٥٥٥-١٥٥٨

وجدت الملكة ماري إن السياسة التي اتبعتها مع شعبها كانت سببا في تمردهم عليها، وارتأت الأخذ برأي مستشاريها الذين نصحوها بإتباع أسلوب أكثر حزما في معاملتها لهم، وان تركها

للخارجين على حكمها بدون عقاب سيشجع الباقين على التمرد مما يزيد من معارضيها الذين سيهددون عرشها. ورأى أسقف ونشيستر وجوب إخافة البروتستانتيين من خلال الإقدام على إعدام الخونة الأوائل المتمثلين بالسيدة جين جراي وزوجها، وكانوا مازالوا محتجزين بسجن البرج، فسيقوا إلى المقصلة يوم الثاني عشر من شباط ١٥٥٤، حيث تم إعدام جون دادلي وحمل رأسه بعربة مرت من أمام زنزانة زوجته السيدة جين، وفي اليوم ذاته استسلمت السيدة جين جراي واقتيدت إلى المقصلة دون أن تبدي أي مقاومة او خوفا لما ستلاقيه.(٤٠)

ولم تنتهِ سلسلة الإعدامات التي ابتدأت السيدة جين بل استمرت لتنال من والدها هنري جراي (دوق سفولك)الذي سبق أن أطلق سراحه بعد اشتراكه بمسالة تنصيب ابنته كوريثة للتاج مع ما يقارب من مائة من متمردي عام ١٥٥٤ ، ولحق توماس وايات احد زعماء متمردي ١٥٥٤ بالركب بعد أن أمر بإعدامه بيوم الحادي عشر من نيسان لعام نفسه .(٤١) وعيّن البابا جوليوس الثالث (١٥٥٠-١٥٥٥) الكاردينال بول ريجنالد كمندوب بابوي في إنكلترا، وبمعنى آخر كممثل للبابا بكلّ السلطات. كان الكاردينال بول في المنفى بروما لعشرون عاماً منذ عهد الملك هنري الثامن عام ١٥٣٥ نتيجة لرفضه الإجراءات الدينية التي اتبعها الملك هنري وشجبه للسياسة البروتستانتية التي نادى بها الملك ادوارد السادس ، فسيطر الكاردينال بول بعد وصوله انكلترا عام ١٥٥٥ على المنصب الذي كان يشغله كرانمر كرئيس لأساقفة كانتربري في انكلترا. وقام بتنظيّم التصريح البرلماني الذي ارجع انكلترا لحظيرة الكنيسة الكاثوليكية الرومانية وأعاد الكنيسة الانكليزية تحت رعاية البابا الذي أصبح رئيسا لها . (٤٢)

وأشار كلاً من غاردينر أسقف وينشستر وبونر أسقف لندن على الملكة بإتباع أسلوب القسوة مع رعاياها ليكونوا أكثر طاعة وانصياع لأوامر التاج، بالوقت نفسه اقنع الكاردينال بول رئيس أساقفة كانتربري الملكي ماري بضرورة إعادة العمل بقوانين القرن الثالث عشر التي كانت تعد كل زنديق مذنب وجب إحراقه. وأذعنت الملكة لأفكار الكاردينال بول المتعصب دينياً، فرأت في حرق بعض البروتستانت المتزمتين والمتمسكين بمذهبهم وسيلة لتخويف الباقين من رعاياها البروتستانت مما يجبرهم للعودة إلى الحماية الكاثوليكية، إلا إنها لم تتوقع أن عملها سيزيد من أنصار المذهب البروتستانتي ويزيد من إصرارهم للتمسك بعقيدتهم، خاصة بعد أن شعروا بالاضطهاد الكاثوليكي وقسوته التي أبعدتهم عنه وزادت الفجوة بينهم وبين السلطة الكاثوليكية الحاكمة.(٤٣) اصدر البرلمان قرارا من التاج عام ١٥٥٥ بتكوين محاكم أسقفية في كل مقاطعة،

يتولى الأسقف الخاص بها رئاسة هذه المحكمة، تكون مهمة هذه المحاكم إصدار القرارات بحق كل من يشك بعقيدته، فأصبح لزاماً على الجميع المشاركة المستمرة في صلوات القداس الذي تقيمه الأبرشيات والكنائس داخل مقاطعاتهم، كما وجب على كل رعايا المملكة بتقديم اعتراف يؤكد إيمانهم وولائهم للكنيسة الكاثوليكية الرومانية وكل من ينكر إيمانه بالكاثوليكية يتم زجه بالسجون ومن ثم إحراقه بعد أيام معدودة، ونتيجة لذلك فقد زج كثيرا من الرجال والنساء في سجون المملكة ومعظمهم أهلكه الجوع ولاقى حتفه داخل السجون قبل أن يتم الحكم عليه بالحرق ، لذا فقد اتبع الأساقفة أسلوب قاسي في معاملة الرعايا المنضويين تحت سلطة أسقفياتهم .[٤٤]

وقد شهدت كاتدرائية العاصمة اللندنية أبشع وسائل التعذيب ضد المضطهدين البروتستانت، حيث تم سجن عدد كبير من اللندنيين ومات ما يقارب من ثمانية عشر بروتستانتياً بين رجل وامرأة قبل عرضهم على لجنة المحكمة الأسقفية، هذا إلى جانب من تم تنفيذ حكم الإعدام بحقهم بعد رفضهم التخلي عن مذهبهم. وبذلك فقد كانت سياسة الكاردينال بول قاسية جداً نابعة من إيمانه بان رفض الاعتراف بالمذهب الكاثوليكي وإنكار سيادة البابا اشد فظاعة من سياسته المتبعة.[٤٥] وابتدأ كل من غاردينر أسقف ونشستير وبونر أسقف لندن باضطهاد كبار رجال الدين والمصلحين من البروتستانت، ليكونوا عبرة لغيرهم من عامة الشعب، فتم اعتقال كل من روجرز وهوبير وتايلور في الأول من كانون الثاني لعام ١٥٥٥، وفي يوم الثاني والعشرين من كانون الثاني ١٥٥٥ عرضوا أمام المحكمة الأسقفية وأمروا بالتخلي عن عقيدتهم الجديدة والاعتراف بالمذهب الكاثوليكي إلا إنهم رفضوا التحول عما يؤمنوا به لذا فقد صدرت أحكاما للإعدام بحقهم.[٤٦]

وقبيل نهاية شهر كانون الثاني أصدر الكاردينال أول مرسوم يدعو فيه رجال الدين للمضي ضدّ أعداء الإيمان ومعاقبتهم طبقا للقوانين المسنونة.[٤٧] وكان جون روجرز أول من تمت إدانته وحكم عليه بالحرق، توسل لمقابلة زوجته قبل إعدامه غير إن غاردينر رفض ذلك على اعتبار انه لا يحق له الزواج باعتباره رجل دين، إلا انه تم السماح له برؤية زوجته وأولاده بيوم نصب محرقته في الرابع من شباط ١٥٥٥. تلاه بعد ذلك في التاسع من الشهر ذاته جون هوبير الذي اقتيد إلى المحرقة بنفس اليوم الذي تم فيه إحراق رولاند تايلور في بلدة هادلي . كتب السفير الاسباني رينارد رسالة بعثها إلى الملك فيليب بعد مشاهدته لحرق روجرز يطلعه فيها على مشاعر المتظاهرين الذين تجمعوا للصلاة إلى الله ليعطيه القوة لتحمل الألم في حين تجمع آخرون للبكاء عليه ولجمع رماد عضامه والحفاظ

عليها، كما بين السفير للملك فيليب جرأة بعض المتظاهرين بتهديدهم للأساقفة علناً.(٤٨)

وقد تغيرت الحالة السياسية في انكلترا بشكل كبير بين نهاية برلمان الملكة ماري الثالث وافتتاح الرابع في الحادي والعشرين من تشرين الأول ١٥٥٥، ولعب أكثر من عامل في توتر أوضاع البلاد منها خيبة الأمل الكبيرة لماري تيودور في إنجاب وريث للتاج يحول دون اعتلاء أختها البروتستانتية إليزابيث لاسيما بعد خيبة الامل التي اصابتها نتيجة حبلها الكاذب في حزيران من عام ١٥٥٥ ولكن لم يكن ذلك سوى حمل كاذب، ورغبة الملك فيليب بزيادة صلاحياته بحكم حقه الشخصي لا بحكم حقه على المولود المحتمل إنجابه وكان ذلك خيبة أمل كبيرة للملكة ماري التي فقدت الأمل بالإنجاب بعد انتقال فيليب لاسبانيا في التاسع والعشرين من آب ١٥٥٥ لتولي منصبه كملك، ولم يعد لانكلترا إلا في آذار من عام ١٥٥٧.(٤٩)

ويضاف لذلك رغبة الملكة بإصدار قانون يخولها إعادة انتقال الملكيات الكنسية المسلوبة خلال العهد السابق وهذا ما لم ترتضيه الأغلبية الساحقة في المجلس البرلماني، ناهيك عن السياسة التعسفية التي اتبعها التاج فيما يخص مسالة حرق الزنادقة البروتستانت، كل ذلك قد أثر تأثيراً كثيرا على مجريات الأحداث في الدولة، فاستمرت المحارق الكنسية قائمة وتمت بعد ما يقارب التسعة أشهر إدانة كلا من ريدلي ولاتيمير وحوكما بالحرق بعد أن رفضا الرجوع عن مذهبهم وطلب العفو من الرب والبابا ، وتم حرقهما في تشرين الثاني ١٥٥٥ بأكسفورد. كان ريدلي رجل دين متحمس للإصلاح، عارض سياسة ماري القائمة على إعادة الكنيسة للسيطرة البابوية، لذا فقد اعدم حرقاً بعد إنكاره السلطة البابوية. أما لاتيمير فكان فيلسوف أخلاقي متعصب وخطيب ذي قوة استثنائية، تحمس لنشر الأفكار الإصلاحية إلا إن آراءه لاقت معارضة من قبل التاج.(٥٠)

لقد تفاقمت الأوضاع العامة في لندن خاصة في مناطق اسيكس وأبرشيات نورويش وكانتربري، وبينت الدراسات إن ما يقارب خمس أو سدس الوفيات في انكلترا قد عانت ضمن هذه المنطقة الخاضعة لسلطة الأسقف بونر، والذي استخدم ألوان العذاب ضد البروتستانت، ورأى الكثير إن بونر لم يكن يعرض سجنائه البروتستانت على المحكمة بل كان ينفذ بحقهم حكم الحرق دون محاكمة ، واتهمه التاج والبرلمان انه كان اقل الأساقفة نشاطاً في هداية الرعايا اللندنيين لإنكار عقيدتهم وبالتالي تحرير أجسامهم من النار ، وقد أطلق العديد من البروتستانت على بونر لقب (بونر الدموي) (The bloody Boner).(٥١)

وابقي كرانمر رئيس الأساقفة الأسبق محجوزا على أمل الحصول منه على اعتراف بسيادة

البابا ، ولشجب كل ما قدمه من تصريحات بروتستانتية في عهد الملك ادوارد السادس ، إلا انه وحتى كانون الأول من عام ١٥٥٥ كان مصرا على موقفه، ويبدو إن إشارات التنازل قد بدأت تظهر على كرانمر خاصة انه قد تأثر بحجج الراهب الاسباني غارسيا (Garcia)، وانه حضر قداس في نهاية شهر كانون الثاني لعام ١٥٥٦، كما انه قد حرر ثلاث مقالات يعترف فيها بالسلطة البابوية وينكر فيها جميع القوانين والإصلاحات التي صدرت في عهد الملك ادوارد السادس، وبذلك فقد تنازل كرانمر عن مبادئه التي آمن بها.[٥٢] وتوقع كرانمر إن اعترافاته هذه قد تغفر له وتنقذه من محرقة الزنادقة، إلا إن الملكة ماري لم تكن لترضى بغير الحكم بالموت لكرانمر بعدما ذاقته من الم بسبب تصريحاته أيام والدها الملك هنري الثامن، وأُصدر حكم الحرق بحقه أمام العامة في الرابع والعشرين من شباط عام ١٥٥٦، لذا فقد آثر أن ينقذ نفسه من المهانة الكبيرة أمام أبناء الشعب، ويحتفظ بمكانته أمام مؤيديه البروتستانت، ففي يوم المقرر لإحراقه طلب التاج من كرانمر أن يصرح باعترافه الأخير أمام المجتمعين بأكسفورد يعلن فيها توبته، لكن هذا الاعتراف لم يكن كما توقعته السلطات بل أثار هلعهم، فقد عبر في بداية خطبته عن ندمه لكن ليس ندمه من معارضة الحكم الحالي إنما ندما على ما اجبره التاج على فعله، إذ بين للجميع إن كل المقالات التي وقعت باسمه لم تكن تعبر عن آراءه وانه بقي بروتستانتي، وانه لن يعترف بالسيادة البابوية على الكنيسة الانكليزية. وعندما اقتيد إلى المحرقة نادى بالجمهور رافعا يده اليمنى إن هذه اليد الآثمة يجب ان تحرق أولا لأنها تجرأت على مذهبها وكتبت عكس ما يؤمن به قلبه، وانتهى العرض بإحراق كرانمر في أكسفورد بكنيسة سانت ماري يوم الحادي والعشرين من آذار لعام ١٥٥٦، وأمسى كرانمر من أشجع رجال الدين الشهداء الذين اثروا بعواطف الشعب وتركوا أثراً كبيرا في نفوسهم ضد قسوة الحكومة والمحارق البروتستانتية التي ارتبط ارتباطا وثيقا بالمذهب الكاثوليكي.[٥٣] عدت وفاة كرانمر دليلا على وصول الاضطهاد أوج قمته، فكانت نتيجته إن زاد البروتستانت تعلقا بمذهبهم ونفورا من المذهب الكاثوليكي الذي ارتبط اسمه بدماء أبناء بلادهم، كما إن البروتستانت ساندوا مؤامرة تزعمها هنري دادلي (Henry Dadlly) في نيسان عام ١٥٥٦ لخلع الملكة ماري وتنصيب إليزابيث بدلا عنها، إلا إن الحكومة الانكليزية قد أنهت المؤامرة قبل اتساعها، وقبض على عدد من المشتركين فيها من بينهم شخصان كانت لهما علاقة قوية بالأميرة إليزابيث، كان ذلك سبباً في ازدياد مخاوف الملكة ماري من تصفيتها وانتهاء حكمها.[٥٤]

وقد دام الاضطهاد أربع سنين منذ عام ١٥٥٤ وحتى ١٥٥٨، عانت فيها انكلترا أبشع أنواع التعذيب والقتل ، احرق في السنة الأولى أربع أشخاص ، ثلاثة منهم من رجال الدين ، وخلال الأعوام مابين (١٥٥٥- ١٥٥٨) سقط عدد كبير من الضحايا بلغ ٢٨٥ شخصاً، فاحرق عام (١٥٥٥) ٧٤ شخصاً، وفي عام (١٥٥٦) ٨٥ شخصاً، في حين بلغ عدد المحروقين ٨٢ شخصاً عام(١٥٥٧) واختتمت حياة الملكة ماري بإحراق ٤٤ بروتستانتياً عام ١٥٥٨، واغلبهم احرق في لندن والمناطق الجنوبية الشرقية من انكلترا ، حيث قوى الدين البروتستانتي قبضته هناك، أما الثلثين الباقين فكانوا من عوام الشعب اغلبهم مزارعين وتجار من الرجال والنساء. وقد تركت هذه السياسة القاسية مع العامة أثراً سيئاً في قلوب الشعب الانكليزي سواء من البروتستانت أو الكاثوليك ضد الملكة ماري تيودور والتي اصبحت تلقب بماري الدموية (The bloody Mary).[٥٥]

الخاتمة

يعد عهد الملكة ماري تيودور (١٥٥٣-١٥٥٨) أسوء عهود أسرة تيودور نتيجة السياسة التعسفية التي اتبعتها ضد أبناء شعبها من البروتستانت.

تتركز أهمية عهد الملكة ماري في مسألتين أساسيتين، أولهما المسألة الدينية والتغيرات المذهبية التي شهدتها البلاد سواء خلال عهد والدها الملك هنري الثامن أو أخيها ادوارد السادس أو خلال مده حكمها. والمسألة الثانية تندرج ضمن السياسة الخارجية، فعملت الملكة ماري تيودور على ربط البلاد بعجلة المصالح الاسبانية من خلال زواجها من الملك فيليب الثاني. وعلى الرغم من إن الملكة ماري تيودور قد حكمت مدة خمس سنوات فقط (١٥٥٣-١٥٥٨)، إلا إن حكمها شهد أحداثاً كثيرة أثرت على مستقبل انكلترا، فقد شكل الحكم النسائي لانكلترا ظاهرة جديدة من نوعها لم تشهدها البلاد خلال تاريخها السابق، وقد أثبتت قدرتها على الإمساك بزمام العرش حتى وفاتها ١٥٥٨، فمهدت بذلك الطريق للحكم النسوي الانكليزي وأعطتهم الأحقية بتولي السلطة ووراثة العرش الانكليزي . اتبعت الملكة ماري تيودور في عام ١٥٥٣ سياسة التسامح الديني عكس الفطرة التي تربت عليها، بحيث ضمنت قلوب الانكليز كافة فأعلنت عن إطلاق الحريات الدينية لكل الطوائف المسيحية في البلاد وبذلك فقد أمنت

خوف البروتستانت من مجيء حاكم كاثوليكي إلى سدة الحكم قد يبطش بهم .

شهدت الفترة التالية لعام ١٥٥٤ وبعد تمرد توماس وايات مباشرة ، تغيراً كبيراً في السياسة المتبعة من قبل الملكة ماري ويرجع ذلك إلى نصيحة مستشاريها أولاً من خلال تحذيرها بإمكانية خلعها عن الحكم وتنصيب أختها إليزابيث بدلاً منها. كما يلاحظ إن تبدل السياسة الرحيمة لماري مع البروتستانت قد ارتبطت بعودة الكاردينال بول إلى انكلترا ١٥٥٤، والذي يحمل أفكاراً كاثوليكية متعصبة، وكان موضع ثقة كبيرة من قبل الملكة ماري، فكان لوجوده ابرز الأثر في اعتماد الملكة أسلوباً جديداً قائما على البطش والحرق بحق البروتستانت من أبناء الشعب الانكليزي. ويرجع إيمان ماري تيودور بسياستها الجديدة لواقعها الذي عاشت وترعرعت فيه، فقد ولدت بعهد كانت فيه الكاثوليكية المذهب الوحيد القائم في العالم المسيحي، ولم يكن هنالك أية نوايا لقطع العلاقة مع الكنيسة الأم بروما والبابوية وإنشاء كنيسة جديدة قائمة على أفكار غريبة عما تعلمته أو تربت عليه. إلا بعد أن عمد والدها الملك هنري الثامن على تطبيق سياسة جديدة بهدف تطليق والدتها ورفض البابا تصديق هذا الطلاق ومباركة زواجه مرة أخرى، وقيام هنري الثامن بعد ذلك بالانفصال عن الكنيسة الأم وما لاقته الملكة ووالدتها من سوء المعاملة مما هدد حياتها وشتت شمل عائلتها، لذا فقد ارتبط الوجود البروتستانتي لديها بما لاقته في صغرها من عذاب وتخوفها من عودة ذلك في حال إبقائها على البروتستانتيين في بلادها .

عملت الملكة ماري على تكوين توازن في المؤسسة السياسية يضمن بقاء سلطتها قوية على البرلمان، من خلال تأمين موازنة بين الكاثوليك المخلصين أمثال غاردينر وبنجفيلد، روتشستر، والدجراف وغيرها، وبين من ساهم باضطهاد الكاثوليك خلال العهد السابق ومنهم باجيت، وينشستر، بمبروك، وارندول، وكان للمنافسة القائمة بين أعضاء مجلس البرلمان، واختلاف الآراء حول القضايا المطروحة ساعد الملكة ماري تيودور على أحكام سيادتها البرلمانية وتحقيق أهدافها، نذكر منها على سبيل المثال المنافسة بين مستشار الملكة ستيفن غاردينر وبين باجيت صاحب الختم الملكي، والانقسامات القائمة بينهما نتيجة اختلاف الرأي خاصة فيما يتعلق بمسألة المصاهرة الاسبانية المؤيدة من قبل باجيت ورأي غاردينر المناهض لأي وجود أجنبي مهما كانت تسميته، ومساندته للمرشح الانكليزي. ساعد كل ذلك الملكة ماري على زيادة سيطرتها الفعلية على مجالس البرلمان وممارسة نفوذ اكبر داخله، إلا إن هذه المجالس أظهرت وحده غير متوقعة خاصة في المواقف

المهمة بمستقبل البلاد، أو المهددة للتاج الملكي المتمثلة بتمرد توماس وايات١٥٥٤ أو التهديد الخارجي المنطوي تحت التعاون الأنكلو _ اسباني ضد فرنسا ١٥٥٧.

وقد أطلق كثير من المؤرخين على الملكة ماري تيودور لقب (ماري الدموية)، لما لاقاه شعب انكلترا خلال عهدها من بطش ضد أبنائه من البروتستانت، إلا إننا لو حكمنا عليها بمنظور القرن السادس عشر لا بمنظور القرن العشرين لرأينا إن هذه السياسة كانت متبعة بشكل كبير وواسع في انكلترا وأوربا عامة لدرجة يمكن اعتبارها إحدى الوسائل التي يعتمدها الملوك للتخلص من معارضيهم الدينيين أو السياسيين. إلا إن تسمية الملكة ماري تيودور (الدموية) من قبل البعض يعزا إلى عدد من تم احعدامهم حرقاً مقارنة بطول مدة حكمها القصيرة .

كما حاولت الملكة ماري الحصول على سند كاثوليكي يؤازرها في حكم بلادها، ويحول دون وصول أختها البروتستانتية المذهب لسدة الحكم، لذا رأت من مصلحتها البحث عن زوج مناسب يضمن لها حقيق مصالحها، ولم يكن اختيارها لفيليب الثاني اعتباطا إلا لما عرف عن اسبانيا عن كونها حامية المذهب الكاثوليكي في أوربا والعالم المسيحي اجمع. ومن خلال ما تقدم بفصول الرسالة لم يكن سوى زواجاً شكليا قائماً على المصالح الخاصة بكل طرف ، بدليل إن الملك فيليب لم يتدخل في شؤون الحكم الانكليزي، وترك البلاد عند أول فرصه سنحت له وذلك عام ١٥٥٦، ولم يعد لها إلا في عام ١٥٥٧ سعياً وراء مصالح بلاده وذلك عندما طلب مساندة الملكة له بحربه ضد فرنسا.

وبذلك ربطت الملكة ماري بلادها بحرب لا طائل منها، ولم تأت بأي منفعة لانكلترا بل على العكس قد سببت نكسة كبيرة لها بدليل خسارتها كالية ، وعدم مطالبة حليفها الملك فيليب لها بعد توقيعه لمعاهدة كاتوكمبرسيس عام ١٥٥٩ .

المصادر والمراجع

(1) Lee , Stephen J., The Mid Tudor's Edward VI and Mary, 1547–1558 , (Routledge, 2007), p.135.

(٢) Lee, OP.cit , p 121.

(٣)توماس كرانمر(Thomas Cranmer)(١٤٨٩-١٥٥٦)(١٥٤٠-١٥٥٣): قائد عملية الإصلاح الانكليزي وكبير أساقفة كانتربري خلال عهدي الملك هنري الثامن وولده الملك ادوارد السادس، عينه هنري الثامن كبيراً لأساقفة كانتربري في الثالث كانون الاول ١٥٣٣، وبتوليه هذا المنصب أصبح مسؤولاً عن تأسيس الهياكل المذهبية والطقوسية لإصلاحات كنيسة انكلترا خلال فترة حكم هنري الثامن، لم يقم كرانمر بإجراء تغييرات جذرية في الكنيسة، وذلك بسبب الصراع على السلطة بين المحافظين المتدينين والمصلحين، نجح في نشر أول كتيب صلوات باللغة العامية، وهو كتاب الإرشاد والدعاء عام ١٥٤٤. وبتولي إدوارد السادس العرش ١٥٤٧-١٥٥٣، أصبح كرانمر قادرًا على القيام بإصلاحات رئيسية، فقد كتب وجمع أول طبعتين من كتاب الصلاة الأساسية، القداس الكامل للكنيسة الإنكليزية.http://wikipedia.org/wiki/

(4)Hammer , Carl I ., The Prison Diets of Cranmer and Latimer , The Sixteenth Century Journal , Vol. 30, No. 3, Autumn, 1999 , P.659 .

URL http://www.jstor.org/stable/2544811

(٥) ديورانت، المصدر السابق ، ص.ص ١٦٧-١٦٨.

(6) Weir , Alison, The Children of Henry VIII (New York: Ballantine Books, 1996) , p. 184.

(7)Hazlitt , W. C., the English and stage under the Tudor and Stuart princes 1543-1664 Illustrated by a series of documents treatises and poems, (Cornell University Library, 1869), p.15.

(٨)شارل الخامس (Charles V):هو ابن فيليب الاول وجوانا أميرة قشتالة وحفيد فرديناند الخامس ملك ارغون وايزابيلا ملكة قشتالة والامبراطور مكسمليان الاول وماري البرجندية ، ولد ببلدة خنت التابعة لدوقية الفلاندر في شباط عام ١٥٠٠، ورث ملك الاراضي المنخفضة ولكسمبورج والنمسا وبورغنديا بعد موت ابيه عام ١٥٠٦ وارغون ونافار وغرناطة ونابولي وصقلية وسرديدنيا، شارك والدته خوانا(المجنونه) بحكم قشتالة بعد وفاة فرديناند الخامس عام ١٥١٦، وبعد وفاة مكسمليان الاول عام ١٥١٩ ورث اراضي هابسبورج، دخل الامبراطور شارل الخامس بصراع مع فرنسا طيلة سنوات حكمه، فخاض بين عامي (١٥٢١-١٥٢٩) حربين مع فرنسا انتهت باسر الملك فرانسوا الاول، قاوم بشدة مذهب مارتن لوثر، ففي ايار عام ١٥٢١ وقع مرسوم ورمز الذي اعلن ان لوثر واتباعه خارجون عن القانون وعقد مجلس ترنت عام ١٥٤٥، بدأ الامبراطور شارل الخامس سلسلة من التنازلات جعلت املاك اسرة هابسبورج مقسمة بين النمسا واسبانيا، ففي عام ١٥٥٤ منح نابولي وميلان لابنه فيليب الذي زوجه من الملكة ماري تيودور وبعام ١٥٥٥نقل الاراضي المنخفضة لفيليب أيضاً وفي ١٥٥٦نصب ابنه فيليب ملكاً على اسبانيا وصقلية باسم فيليب الثاني وبنفس العام تنازل عن الامبراطورية لاخيه فرديناند واعتزل في دير بوست ولكنه ضل مهتما بالسياسة حتى وفاته عام ١٥٥٨.

http://ar.wikipedia.org/wiki/

(٩) ديورانت ، المصدر السابق ، ص ١٧١.

(١٠) ديورانت ،المصدر السابق ، ص ١٦٨ .

(11) Porter , op.cit , p.239.

(12) Porter , Op.Cit , p. 237 .

(13) Higgs , Laquita M., Godliness and Governance in Tudor Colchester, Edition 4, (The University of Michigan Press , 2001) , P. 152.

(14) Higgs , Op.cit , P. 167 .

(15) Gairdner , James, Lollardy and the Reformation in England An Historical Survey , VOL. IV , (London : ST. Martin's Street,1913) , P. 27.

(16) Ibid , P. 27.

(17) Loach , Jennifer, Parliament and the Crown in the Reign of Mary Tudor , (Oxford : Clarendon Press , 1986) , P. 86.

(18) Beer , Barrett L. , London Parish Clergy and the Protestant Reformation, 1547-1559, Albion: A Quarterly Journal Concerned with British Studies, Vol. 18, No. 3, (Autumn, 1986), p. 385 . URL: http://www.jstor.org/stable/4049980 .

(19)Porter,op.cit, p. 240.

(20) Loades , D. M., The Reign of Mary Tudor : Politics, Government, and Religion in England 1553-1558, (New York : St. Martin's Press , 1979) , P. 97.

(21)Richards, Op.cit, p. 171.

(22) Porter, Op.Cit, p. 24.

(23)Lee, Op.Cit , PP. 80-82 .

(24) Samson, Alexander, Changing Places: The Marriage and Royal Entry of Philip, Prince of Austria, and Mary Tudor, July-August 1554 , *The Sixteenth Century Journal* , Vol. 36, No. 3 , (Fall, 2005), pp. 761-784 . RUL: http://www.jstor.org/stable/20477489 .

(25) Lee , Op.Cit , P. 82 .

(26) Thorp , Malcolm R., Religion and the Wyatt Rebellion of 1554 ,Church History , Vol. 47, No. 4 (Dec., 1978, Published by: Cambridge University Press, p. 366 . URL : http://www.jstor.org/stable/3164313

(27) Mary: February 1554', *Calendar of State Papers Foreign, Mary: 1553-1558* (1861), pp. 55-64.
URL: http://www.britishhistory.ac.uk/report.aspx?compid=70404

(28) Lee, Op.Cit, P. 82-83 .

(٢٩) ديورانت ، المصدر السابق ، ص ١٧٧.

(30) Knight , Charles, The popular history of England an illustrated history of society and Government from the earliest period to our own times , VOL . III , (London : Bradbury and Evans , 1857) , P.69 .

(31) Lee,Op.Cit, P. 107.

(32)Ibid, P. 107.

(33) Bartlett, Op.cit, P.243 .

(34) Lee, Op.Cit, P. 92.

(35) Knight, Op.Cit , P. 72 .

(٣٦) ديورانت ، المصدر السابق ، ص ١٧٧ .

(37) Hugo, Victor, Marie Tudor, (Paris: Eugene Renduel, 1836) , P.222.

(38) Lee, Op.Cit, P.103 .

(39) Lee, Op.Cit, PP. 102-103 .

(40) Baldwin , Op.cit , PP. 103-104.

(41) Simonds , William Edward, Sir Thomas Wyatt and his poems, (Boston : D. C. Heath and Company , 1889) , P.45 .

http://babel.hathitrust.org/cgi/pt?id=miun.abk2587.0001.001;view=2up;seq=51

(42) Stater , Victor, The Political History Of Tudor And Stuart England , (London :Routledge is an imprint of the Taylor & Francis Group,2005), P . 118 .

(43) Stater , Op.cit , P. 119 . ; Anderson , Judith H., Language and History in the Reformation: Cranmer, Gardiner, and the Words of Institution, Renaissance Quarterly , Vol. 54, No. 1 (Spring, 2001, Published by: The University of Chicago Press), pp. 20-51 .

URL

:http://www.jstor.org/stable/1262219

(44)Stater , Op.cit , P. 118 .

(45) Lee, Op.Cit, PP. 102-103 .

(46) Goldsmid, Edmund, Collectanea Adamantaea A collection of History of Document Historical Document illustration of the Reigns of the Tudor and Stuart Sovereigns . Edited , with notes and illustration , VOL, II, (Edinburgh: 1886,), PP.16-17.

(47)Hugo, Op.Cit, p.241.

(48)Lee, Op.Cit, P. 116.

(49)Evan Daniel , Outlines of England History from the Roman invasion , B.C. 55, Ti the year A.D. 1863 , (London : The National Society's Depository), p. 128.

(50) Milner, Thomas, History of England from the invasion of Julius Caesar to the year A.D. 1852 , (London : The booksellers) , p. 442 .

(51) Lee, Op.Cit, P.81.

(52) Goldsmid , Op.cit , P. 17 .

(53) Bouldin, Elizabeth Jane, Treason, Heresy, And Scaffold Performances In Sixteenth Century England, A thesis submitted to the Graduate Faculty, of North Carolina State University , 2005 , p. 28 .

(٥٤)ديورانت ، المصدر السابق ، ص.ص ١٨٧-١٨٨

(55)Richards, Op.cit, p. 194 . .

Abstract

The reign of Queen Mary Tudor is considered as the most distinguished era of the history of England; Mary was the first women who had ascended the English throne till she reached the eighty seventh year of her age, she was the firstborn of the King Henry VIII from his wife Catherin Aragon, she was born in 1516, she had played an important role during the reign of her father King Henry VIII(1509-1547) and her brother King Edward VI(1547-1553), she was deprived of her right of inheriting her father after her parents' divorce, yet she regaining it after the issue of inheritance new law 1544.

Mary Tudor had played an important role in the events in and out of England during the era of King Edward VI where she was the opposition center against the religious policy that her brother, King Edward VI, had followed, it was too difficult to leave the doctrine that she believed on and opposed her father for it and which her mother had believed on till her death, yet King Henry VIII had not force Mary or her mother to convert their doctrine. Also King Edward VI had not punished his sister Princess Mary due to their deep relation, firstly, and due to the status of Mary as an inherent of England throne, secondly. Those who had insisted on their Catholic doctrine, forced to accept the Protestantism as a new doctrine and who believed on her right as an inherent of England throne, after her father`s death, were her supporters. The role of the Roman Emperor Charles V, who was the strong foreign supporter of Mary, could not be neglected. Her refusal of the new doctrine represented a serious danger for the religious future of England, where King Edward VI had worked hardly to diffuse the Protestantism by issuing the book of prayer, so Mary had faces many attempts to deprived her of her power especially when Duck of Northumberland deduced King Edward VI to issue new inheritance law to inherit Jane Gray the country throne after him.

All those attempts had gone with the wind. Queen Mary Tudor had ascended the throne in 1553, where her first task was to recover the Catholic doctrine, so she had released the catholic leaders such as Stevin Gardener the Bishop of Winchester and Bonier the bishop of London. She had allowed the Protestants to leave England, yet she imprisoned those who had stayed in England including Tomas Cranmer, Hio

Latmeer, John Hoper and Nikolas Ridly. Moreover she had eliminated the married clergy men and appointing the catholic clergy men who had lost their jobs during the era of King Edward VI.

Queen Mary Tudor had expressed her desire of marriage to get an inherent and to get a supporter to control the country; the Spanish King Philip II was the aimed husband to obtain her aims in spite of the opposition of the English parliament who had considered this marriage Spanish attempt to use the men and money of England. Thomas White had used this marriage as a reason for the revolution of 1554 to dethrone her and appoint Elizabeth, yet this revolution had ended with the execution of its leaders and that forced Queen Mary to change her religious policy issuing a decision that considered the Catholicism as the base of their religion and the opponents would be punished by burning. A set of the bishops had been executed such as John Rojjers, Latmeer, John Hoper and Cranmer as they were the protestant leaders, with about three hundred of the English protestant9 (1554-1558).

For her foreign policy, England had entered, as an ally to Spain, in a useless war against France, where England had suffered a serious financial loss in addition to the loss of Calia as the last stronghold for England in France.

Hence, the policy of Queen Mary Tudor was not positive, she did not obtained her aims in or out of England, she lost her popularity as a queen and the people called her the bloody Mary, and most of the English had convert their catholic doctrine. Moreover her foreign policy had resulted in destroying the navy reputation of England especially after the loss of Calia.